معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 17/ العدد 2 (ديسمبر 2022): ص.ص:714-729

أنطولوجيا الجسد الأنثوي بين المقدس والمدنس في الرواية النسوية الجزائرية -رجالي لمليكة مقدم أنموذجا-

The Anthology of the female Body between the Sacred and the Profane in the Algerian Feminist Novel - *'Rijali'* by Malika Mqaddam as a Model -

ط.د محمد بوشاكور [1] *. د. شمس الدين شرفي [2]

[1] جامعة خنشلة، مخبر المتخيل النقدي المعاصر والدراسات الحداثية في الفكر واللغة والآداب، الجزائر، bouchakour.mohammed@univ-khenchela.dz

[2] جامعة خنشلة، مخبر المتخيل النقدي المعاصر والدراسات الحداثية في الفكر واللغة والآداب، الجزائر، Chamseddine.chorfi@univ-khenchela.dz

تاريخ الاستلام: 2022/07/07؛ تاريخ القبول: 2022/12/15؛ تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى البحث في قضيّة شغلت الكتابة النّسوية الجزائرية، تتعلق بتمظهرات الجسد الأنثوي بين المقدس والمدنس في الرّواية النسوية الجزائرية؛ إذ يُعتبر الجسد أحد معالم الهوية الفردية، ولهذا سعت النسوية لإماطة اللثام عنه وإخراجه من عالم المسكوت عنه إلى دائرة الدراسات النّقدية الثّقافية، وحمل المنجز السردي النسوي الجزائري هذه التيمة محمل الجد من خلال الاحتفاء بالجسد الأنثوي، ونقل تجاربه، ووصف تضاريسه بكل جرأة وتمرد في نطاق البوح والاعتراف وفي سياق لغوي مفعم بمشاهد حميمية تتصل أساسا بتحرر المرأة الذي أنتجه الفكر النسوي الغربي في مجتمع تسوده الثقافة الأبوية وتحكمه القيم الدينية والمؤسسات الفقهية والأعراف الاجتماعية .

تُعدّ الكاتبة الجزائرية مليكة مقدم من الكاتبات النسويات الجزائريات اللّائي

* المؤلف المرسل

أعطين مساحة كبيرة في كتابتهن الروائية لقضية التحرر الجريء للجسد الأنثوي كوجود وكينونة رافضة لكل هيمنة ذكورية عليه.

الكلمات المفتاحية: الجسد؛ المقدس؛ المدنس؛ النسوية؛ الرواية النسوية.

Abstract:

The present study aims to investigate a common issue in the Algerian feminist writing, in relation to the manifestations of the female body between the sacred and the profane in the Algerian feminist novel. In the same line of thought, the body is considered one of the features of individual identity, and that is why feminism sought to unravel it and bring it out of the unspoken world to the circle of cultural criticism. On this basis, the Algerian feminist narrative achievement has taken this theme seriously by celebrating the female body, conveying its experiences, and describing its terrain with all boldness and rebellion within the scope of disclosure and recognition. The latter is achieved in a linguistic context full of intimate scenes related mainly to the emancipation of women, which was produced by Western feminist thought in a society dominated by patriarchal culture and governed by religious values, jurisprudence institutions and social norms.

By the same token, the Algerian writer Malika Mqaddam is one of the Algerian feminist writers who dedicated enormous space in their fiction writing to the issue of the bold liberation of the female body as an entity of existence and being, rejecting all male domination over it.

Keywords: body; sacred; profane; feminism; The feminist novel.

المقدمة:

شكّلت ثيمة الجسد علامة محورية في الرّواية النّسوية الجزائرية، لتفرض نفسها على كل قارئ لروايات نون النسوة، ذلك أن معظم الروائيات الجزائريات يرين في الجسد مصدر تفوق يجب توظيفه في الصراع مع الآخر (الرجل) فحاولت الكاتبة

الجزائرية من خلال كتاباتها التمركز حول جسدها الأنثوي، والخروج من أبوية المجتمع التقليدي المكتسحة لحقوقها من خلال تأسيس خطاب نسوى مغاير يرفع من شأن الجسد فيبوح برغباته وشهواته لإدانة القمع الذكوري المهيمن، ويرد الاعتبار للجسد ثقافيا، مجسدة بذلك أفقا تحرّريا تمارس فيه الكاتبة تمرّدها وثورتها وعصيانها، ومكبوتاتها الجنسية المقموعة محطمة كل الثوابت والأشكال السائدة التي طالما قيدت الجسد الأنثوي، والتي كان يوظفها الرجل من أجل تطويع جسدها وإخضاعها لذلك البراديغم الثقافي الذكوري، فجسدها أصبح يستصرخ أنوثته وينادي بتحرره عن السائد الاجتماعي والثقافي، ويعلن ثورته على كل أشكال الاضطهاد المسلط عليه فيُقوِض المركز الذي كان ينتمي إليه عبر استحداث نسقه الخاص، فاتخذت الأديبة النسوية الجزائرية من الكتابة وسيلة للبوح، والاعتراف النرجسي بتضاريسها الأنثوية وعلاقاتها الحميمة، وهي تمارس طقوس التحرر بجسدها، متمردة على كل قيم القداسة الدينية والاجتماعية والثقافية، وقد جاء هذا البحث ليكشف عن مظاهر التمرد لدى الكاتبة النسوية الجزائرية، ورفضها للسائد الثقافي والاجتماعي الفحولي، وذلك عبر البوح الجريء بتدنيس الجسد اجتماعيا وثقافيا ودينيا. فكيف تجلّى الجسد الأنثوي بين ثنائية التّقديس والتّدنيس في رواية رجالي لمليكة مقدم؟ وكيف تنظر الكاتبة إلى إشكالية تحرر الجسد الأنثوي في ظل السائد الفحولي المهيمن بمختلف مصادره، ومرجعياته المقدسة؟

1- مصطلحات ومفاهيم :

1-1- المقدس والمدنس:

اِهتم علماء الأديان والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس بدراسة المقدس والمدنس وجميع الميادين التي يتمشهدان فيها كظاهرة إنسانية، واجتماعية قصد التوصل إلى مفاهيم عديدة حول المقدس وقضاياه، والمدنس وموضوعاته.

يرى مرسيا الياد أن المقدس يتجلى بوصفه حقيقة فوق طبيعية في النظام، يعبر عنه بالمخيف أو العظيم، لذلك فإن المجتمعات القديمة اعتبرت المقدس معادلا للقوة والكينونة والخلود بوصفه مصدر كل فاعلية ؛ "فالمقدس يظهر دائما كحقيقة من نظام آخر غير الحقائق الطبيعية وتستطيع اللغة أن تعبر بسذاجة عن المخيف أو العظيم أو الخيالي الغامض ...المقدس مشبع بالكينونة وقوة مقدسة تعني في آن واحد حقيقة

وخلودا وفاعلية"[1].

أما المدنس فهو كل ما يعارض النظام ويخلخل قواعده ويسبب الفوضى؛ فهو خروج عن نطاق المألوف وذلك بمخالفة المقدس الديني أو الأخلاقي. ويدخل ضمن الهامش المتروك للإنسان كي يمارس فيه نشاطه بحرية فيصطدم بالمحظور والممنوع "هو مخالفة شريعة دينية أو قاعدة أخلاقية فالمخالفة تحدث أيضا تغيرا في الحال اختلالا في نظام يولد شعورا بالذنب، وقرفا مماثلا للقرف الذي نشعر به لدى الاحتكاك بالرجس المادي"[2].

يتعارض المدنس مع المنظومات الأخلاقية والدينية والبنى الثقافية ويهتك القداسة فتتجنب النفوس الاقتراب منه "تحمل معنى الشيء الواجب عدم لمسه أو الاقتراب منه أو الخوض في حديث عنه والذي يعتبر هاتكا للقداسة والستر وكاشفا للحرمات"[3].

1- 2-أنطولوجيا النسق الثقافي للجسد الأنثوي في الفكر النسوي :

لقد اختزلت المركزية الذكورية وجود المرأة وكيانها في الجسد، وسيجته بنواميس المرجعيات الفحولية، وقد عارض الفكر النسوي أسر الهوية الأنثوية وجعلها تحت وصاية النسق الذكوري، إذ "تذهب المجتمعات الذكورية (المتمركزة حول الذكر) إلى أن الرجل هو الأصل الثابت (المبدأ الأول – اللوغوس) والمرأة هي العكس، هذه الثنائيات الأولية التي تظن أنها تتسم بالصّلابة والتجرد، ولكن المرأة في واقع الأمر هي الأصل الآخر المسكوت عنه، والمرأة عكس الرجل، ولذا يمكن أن يُشار إليها على أنها الرجل الآخر، فهي ليست برجل وإنما هي رجل معيب ناقص حسب تصورات المجتمعات الذكورية"[4].

ويعتبر الجسد معيارا أساسيا يكرس من خلاله النظام الاجتماعي، والثقافي الهيمنة الذكورية وذلك بوساطة التمييز البيولوجي بين الجنسين، وبالتحديد بين الجسد

(1)- مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، ت عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، دمشق، 1988، ص 16- 17.
(2) - يوسف شلحذ، بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده، تعريب خليل احمد خليل، ط 1، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 1996، ص36.
(3)- سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، تر، جورج طرابيشي، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص6.
(4) -أحمد عبد الحليم عطية، جاك دريدا والتفكيك، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2010، ص 170- 171.

الذكوري والجسد الأنثوي كمحاولة للحط من قدر الجسد الأنثوي، وإقصائه من قبل ذلك الإرث الرجعي بروافده ومصادره المختلفة التي شكلت رأسمال الفكر الذكوري. كما أن ثمة نظرة أخرى للأنثى ترتبط برغبة الرجل في تفخيم_الأنا الذكورية، واعتبارها مجرد أداة لتحقيق متعة الرجل أو سلعة للمتاجرة والمضاجعة، وإشباع غرائزه الجنسية "إذ تفصل الثقافة الذكورية العقل عن الجسد فتجعل العقل للرجل وحده والجسد الخالص للأنثى، ويتم بذلك تسليع الأنوثة وتسويقها"[1]، الأمر الذي يؤدي إلى خفض قيمة جسد الآخر وتحويله إلى جسد متخيل تمتلكه الذاكرة الإنسانية لتنقل الجسد الأنثوي من عالم المرأة المدنس إلى عالم الرجل المقدس كما نسجه منطق اللوغوس. "إنه جسد من خلق مخيلة الواصف، الناحت له، يمنحه من توقعاته وحساسيته كل ما ينقصه من الاكتمال والتعالي، وهو صورة أيضا لأنه جسد يتم تجريده في الكثير من الأحيان من خصائصه الظاهرية، وعزله عن محيطه لإعادة تركيبه في متخيل اللغة وفق منظور يسلب منه طابعه الوجودي"[2].

وقد تعرض الجسد الأنثوي إلى ما يمكن تسميته بالتسليع الاجتماعي، أي أن المجتمع هو من يقوم بتصنيع الأجساد وفق متطلبات السوق الذكورية، حيث يقع تداول الجسد الأنثوي النموذج كسلعة يقبل عليها الرجال كلما تطابقت صورتها مع نموذج المرأة المتخيل، وبهذه الطريقة تمت تشيئة جسدها حين نزعت منه إنسانيته، وقذف داخل عالم مادي بوصفه أحد أشياء الرجل وممتلكاته وقدر له أداء مهمة واحدة. " لتساهم بذلك في إعادة إنتاج رأس المال الرمزي للرجال"[3] .

سعى الفكر النسوي إلى تأسيس كتابة متحررة تمكن الجسد الأنثوي من التمرد على البنى الاجتماعية والثقافية البطريركية، وقد افترضت النسوية هيلين سكسو Cixous Hélène إمكانية ظهور كتابة أنثوية تقوم على قاعدة الاختلاف، والخصوصية اللغوية، إذ أكدت على السعي إلى استخدام لغة بديلة عن لغة الرجل تمثل خصوصية المرأة؛ لترسخ نسقا أنثوياً في الكتابة يتمركز حول جسدها، وتمثلت دعوتها اللغوية في استخدام المرأة

(1) - نعيمة هدي المدغري، نساء على المحك، منشورات دار الايمان، الرباط، 2012، ص69 .

(2) -فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999، ص87.

(3)- بيار بوردیو الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009، ص74.

لجسدها كتابيا موظفة "تراكيب ملائمة توحي بالشهوانية، وصور وتوريات جديدة، ونماذج جديدة للغياب بقصد تحرير جسد المرأة من الأساليب السائدة للتصوير"[1].

جاءت الكتابة النسوية المتمركزة بقضايا المرأة وبخاصة جسدها_الذي قبع تحت تاريخ من المحرمات والقهر، وتشكلت هذه الكتابة بالجسد لتواجه " تاريخا كاملا من تابوهات التحريم، وخصوصا التحريم الجنسي، إذ ملكية الذكر مطلقة بصك رسمي، فيكون أن تذهب الكاتبة النسوية إلى النص، كي تمارس حريتها المفقودة في المجتمع ... فتصير صورة المرأة مزيجا من الواقع والأمل أو الوهم"[2]، فكتابة المرأة بجسدها هو كسر للبراديغم الذكوري التقليدي القائم على الهيمنة الثقافية واللغوية التي مارسها على الجسد الأنثوي، كما دعت النسوية إلى فكرة تقوم على تحرير الجسد الأنثوي من اغترابه الجنسي، وذلك من خلال رفض فكرة مؤسسة الزواج التقليدية، إذ تعتقد الكاتبة النسوية سيمون دي بوفوار أن المرأة يقع إعدادها من أجل هدف براغماتي هو الزواج فهي بهذا المعنى ليست كائنا من أجل ذاتها، بل من أجل الزواج " الزواج هو المصير الذي يعرضه المجتمع تقليديا على المرأة. معظم النساء حتى اليوم متزوجات أو كن كذلك، أو يتحضرن للزواج أو يعانين من عدمه، تعرف العازبة نسبة إلى الزواج، سواء كانت مكبوتة، أو ثائرة أو حتى لامبالية تجاه هدا الوضع. " [3]، إذ يقع جسد المرأة أسيرا تحت قوام هذه المؤسسة، ويبدو كل مصيرها محاصرا بها .

2- تمظهرات الجسد الأنثوي بين المقدس والمدنس في رواية "رجالي" لمليكة مقدم:

إن تمظهرات الجسد تتجلى كاختراق للمقدس وتمرد على القيم، والأعراف الدينية والاجتماعية، والثقافية التي تقوم عليها المجتمعات العربية (الحريمية) ممثلة في السلطة

(1) -سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، تر: احمد الشامي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 295-296.

(2)- نزيه أبو نضال، حدائق الأنثى دراسات نظرية وتطبيقية في الإبداع النسوي، ط1، دار ازمنة للطباعة والنشر، عمان، 2009، ص 12.

(3)- سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، تر: سحر سعيد، ط1، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، 2015، ص177.

الأبوية، فهذه النزعة التحررية موجهة في أساسها إلى الرجل الذي تتصوره الروائية سلطة أبوية قمعية؛فكتابة الجسد هتك لعرض هذه الثقافة وفض لبكارتها، فالأب كما تنظر إليه الساردة نموذج للفكر القمعي الذكوري المكرس للتمييز بين الذكور وجنس الإناث فما هو سوى امتداد للفكر البطرياركي القائم على التعامل مع الأنثى بوصفها جنسا دُونيا ضعيفا " **أبي، الرجل الأول في حياتي، من خلالك تعلمت أن أقيس الحب بمقياس الجراح وأشكال الحرمان ... كنت تخاطب أمي فتقول لها أبنائي عن أشقائي، وبناتك عني وعن شقيقاتي**"[1].

تتجلى في رواية رجالي بصمات الأنثى المتمردة على الواقع المزري لمجتمع أبوي_كما تقدمه الكاتبة مليكة مقدم_ تحكمه نواميس مفروضة، هيأت الكاتبة لتتكئ على ثيمة الجسد؛ ليكون المحور الرئيس في الرواية هو اللغة الجسدية الصريحة، والممنوعة على المرأة في عالم ذكوري صارم " إنها مغامرة الاستكشاف وارتياد دهاليز المحرمات، التي في مقدورها أن تسعف هذا الأخير في التأمل في متاهات وجوده"[2].

والتمرد الأنثوي محاولة جريئة لخلخلة قيم الثقافة الأبوية السائدة التي تمارس ضد المرأة أشكالا مختلفة من الإقصاء والتمييز والقمع، فهي تكتب عن حياتها، وطفولتها كأنها تشعر بفقدان الذات التي سلبتها منها الثقافة الفحولية وذلك بعد نضج وعيها النسوي القائم على قاعدة التجربة الذاتية "فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج، وأصبحت في نفس صاحبها نوعا من القلق الفني فانه لابد أن يكتبها"[3].

تحاول الكاتبة/الساردة من خلال كتابتها البوح واستنطاق مناطق الحظر والمنع في المجتمع الفحولي التي ظلت معتمة ومسكوتا عنها، فالكتابةُ السردية النسوية في جوهرها " خروج من الصمت ومواجهة للنفس، وبحث عن حقيقة الذات الغامضة، وكل اعتراف هو في حد ذاته سمو لأنه مسؤولية وفعل مكاشفة تضع القائم به في منطقة جد حرجة، لأنها تشرف من قريب على المواضعات الاجتماعية، والأخلاقية المقدسة فتستمد لذة

(1) -ملكة مقدم، رجالي، تر: نهلة بيضون، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص 11.

(2) -ماجدولين شرف الدين، الصورة السردية في الرواية والقصة والفيلم، دار الاختلاف، الجزائر، 2010، ص30.

(3) - إحسان عباس، فن السيرة الذاتية، ط1، دار صادر بيروت، ودار الشروق، عمان، 1996، ص95.

التطهر في مثل هذه الحالة من الجرأة على تحدي الصمت وكسره"[1].

انطلاقا من هذه الرؤية سنحاول معاينة المضمون السردي لرواية رجالي لمليكة مقدم للوقوف على تمظهرات الجسد الأنثوي بين المقدس والمدنس تحت رداء البوح والاعتراف الذي "يتأسس على أشكال من المكاشفة والاعترافات الصامتة التي يتداخل فيها الواقعي والمتخيل الحقيقي والحلمي"[2].

2-1- تدنيس الجسد وتجاوز قيم الفحولة:

تظهر الساردة في رواية رجالي الطرف المبادِر، إذ تعاني جوعا عاطفيا، وجنسيا نرجسيا وهي تبوح بعلاقتها الجسدية مع صديقها الجامعي سعيد، حين تعرضت إلى مشاهد إيروتكية بكل تفاصيلها غارقة في المشهدية الحسية بعيدا عن المقدس والمنع من ممارسة العشق والغرام خارج مؤسسة الزواج التقليدي كنوع من الفكر الثقافي النسوي المتحرر، وكمحاولة جريئة لتحرير الجسد الأنثوي من كل القيود التي فرضتها البنية الفكرية الفحولية، بل حياة الجسد من أجل إحياء رغباته " **بدأت أول قصة حب جارف عشته تلك العذوبة، تلك النشوة لوجودي بين ذراعيه، تكشف لي عن أسرار في بشرتي لم أكن أفطن لوجودها فجأة أشعر بذلك التمدد المرهف والحسي لكياني . أصبحت بطلة رواية من دون أيما شك، أصبحت الحياة رواية أخيرا. لا أقتلع نفسي من عناق سعيد إلا لأهرع وأرويه لصديقاتي**"[3].

تخطت الساردة كل حدود الكشف، والبوح، والاعتراف الجريء بعلاقتها الحميمية وفي غرفتها بالسكن الجامعي " **إنني في غرفتي بالسكن الجامعي يقول لي سعيد المرعوب والمضطرب: أحبك وأحترمك، لا يمكن أن افعل بك هذا، وقصده من هذا مضاجعة**

(1)- جليلة الطريطر، مقومات السير ذاتية في الأدب العربي الحديث بحث في المرجعيات، مركز النشر الجامعي، ومؤسسة السعيدان للنشر، تونس، 2004، ص467.

(2) - بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ط1، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2002، ص75.

(3) -مليكة مقدم، رجالي، تر: نهلة بيضون، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص60.

كاملة، فيما بعد حينما غامرتنا الشهوة تمتم: سوف نتزوج وعندها نستطيع"[1]، فالساردة في غاية التصريح والتكشف، إذ تظهر كنموذج للمرأة المتحررة من كل الأعراف، والعادات الاجتماعية جريئة على تدنيس جسدها الأنثوي، متمردة على كل الموانع التي تصون هذا الجسد، بل وتنتهك كل ما يتعلق بصون الشرف فهي تحاول التحرر من ذلك الخيط العنكبوتي الشفاف التي يقترن بصون الجسد الأنثوي في ذهنية الرجل العربي، وهي العذرية علامة الطهر والعفة وصمام الأمان الأخلاقي، إذ يقرن المجتمع الذكوري صفاء وطهر المرأة بصونها والحفاظ عليها من أي دنس "فالبكارة هي بمثابة الشمع الأحمر الذي يفصل بين عالمين إنها تعبر عن سلامة الداخل وفي الوقت نفسه تشير إلى الهدوء المستتب المحيط به فهي إذًا كاتم أسرار الجسد الأنثوي، تلك الأسرار التي تنتظر رجلا ما يمتلك الجسد ويلحقه بمملكته الرجولية" [2]، ولكنها أيضا المانع الذي يحول دون خوض أي تجربة جسدية مباشرة، إذ نجدها تسرد وقائع التخلص منها، فهي لم تقبل بالقيم الوظيفية لهذا الغشاء الذي أصبح عائقا يفصلها عن التحرر "**أريد أن أفعل ذلك مع كل مراسم التبجيل، التبجيل؟ ما معنى التبجيل؟ مباركة الدين والمجتمع ورقية من الزغاريد السادية! ولكنني لا أرغب على الإطلاق في الزواج! أريد أن احصل على الحب من دون هذه المهزلة ... أخيرا هزم اضطرام الرغبة مكابداته البطولية، ذلك أن الألم الخفيف وتلك الفرحة! الفرحة! أجل كثير من النشوة الابتهاج بالانعتاق من ذلك المحظور الأكبر رغم النواهي العائلية والاجتماعية، لن يلمح أحد منهم أثر دمي على وسادة أو قميص** " [3]، وقد جسدت الساردة من خلال هذا المشهد القدرة على الهيمنة الجريئة، والمبادَرة بالفعل، إذ أن رغبة جنس في آخر كانت دائما موجهة من الذكر إلى الأنثى، ولكن هنا موجهة من امرأة جامحة متمردة عكس تماما شخصية سعيد التي تظهر سلبية ضعيفة، فالساردة تحاول تكريس الهيمنة الأنثوية على الرجل فتتجلى الأنثى في مرتبة أعلى من الذكر. هذا الموقف كفيل بكشف تعطش الساردة لتمثيلها التحرر الكلي والتخلص من سلطة الخوف،

(1) - المصدر نفسه، ص64.

(2) - إبراهيم محمود، جماليات الصمت في أصل المخفي والمكبوت، ط1، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، 2002، ص143- 144.

(3) -مليكة مقدم، رجالي، ص64.

فشريكها يحاول التمسك بتقاليد زواج تراها الساردة طقوسا سادية تمارس على جسد الأنثى، فهي ترى أن العلاقة الحميمية الأولى للمرأة مع الزوج اغتصابا لجسدها وما يصحبه من شعور بالإذلال والانتهاك لكينونته " **تغرورق عينا سعيد، لا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير بأسى : حين تتعرض الفتيات للاغتصاب بموافقة الأهل، يبكين، إذا قررن خوض العلاقة الجنسية بملء إرادتهن** "[1].

فالروائية متشبعة بالفكر النسوي الغربي الذي يدعو إلى تحرير الجسد الأنثوي من اغترابه الجنسي ورفض كل مظاهر العبودية، ومظاهر ممارسة الطقوس الجاهزة عليه.

تجسد الساردة رفض اغتراب الجسد الأنثوي في المظهر الطقوسي الاجتماعي لمؤسسة الزواج التقليدي ؛لأنها كانت ترى " أكثر ما تعاني منه المرأة من الذكورة انتقالها من ملكية الأب المنتج إلى ملكية الزوج المستهلك، وبالتالي تفرض هاتان الملكيتان عليها القيم الذكورية المضطهدة لها، وأيضا القيم الحريمية المعجونة بالتعايش مع الواقع الذكوري السلبي"[2].

تحاول الساردة إبراز قضية تحرير الجسد والحرية الجنسية في قالب البوح والاعتراف بكل جرأة، وحق المرأة في تملك جسدها، وإطلاق رغباته، وإخراجه من احتكار مؤسسة الزواج ومظهره الطقوسي في رحلة البحث عن الخلاص والتحرر الجريء من تسلط البنية الفكرية الذكورية التي تنطلق من المرجع المقدس في تقنيين طقوس الزواج التقليدي.

2-2 – الجسد من الإغراء إلى المدنس الجنسي:

إن تجربة الساردة الجنسية واعترافها بتدنيس ختم الأمان العذري الذي يصون الجسد الأنثوي بمحض إرادتها، والاعتزاز النرجسي بفعلها المتمرد قد دفعها إلى حالة جديدة من تحرير جسدها المسيج بكبت الشهوة، وهوس اللذة وسقوطها في مستنقع الجنس المرذول، فتتحول من المعشوقة المرغوب فيها إلى العاشقة الباحثة والراغبة في ارتواء الجسد، حيث أصبح جسدها يشتهي الآخر.

(1) - المصدر السابق، ص65.

(2) - حسن المناصرة، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002، ص 46.

اقتحمت السادرة عالم المتعة والشهوة الجنسية، لتكشف مرة أخرى عن علاقاتها الحميمية مع رجل أجنبي اسمه آلان " **كانت معاشرة أجنبي في الجزائر بمثابة اعتراف بالإلحاد، وانتهاك للتعاليم الدينية واقتراف للمرفوض والمحظور** "[1]، فانطلقت لإشباع غرائزها معترفة بتلك العلاقات الحميمية متجاوزة كل القيود التي فرضت على الجسد الأنثوي، حيث كان ينظر إليه بهالة من التقديس. فجسد الساردة الذي أعلنت تمرده ينطلق من سجنه، بغية الاحتفاء وتمجيد رغباته بكل نرجسية، فالساردة من خلال عرض مشاهد علاقتها الحميمية هو رغبتها في التحرر والتخلص من النمط التقليدي في رواية جسد الأنثى "الجنس في أدب المرأة العربية الحديثة، موضوع أساسي ذلك أن الجنس ظل دائما كعلاقة حيوية بين الرجل والمرأة معيارا صادقا في تحديد معنى المرأة عند الرجل، ومعنى الرجل عند المرأة، بل كان مقياسا بالغ الحساسية لأكبر معاني الحياة الإنسانية: الحرية. فقد همس لنا في القرن الماضي، المفكر الفرنسي شارل فوربيه، بأن تقدم مجتمع ما، يقاس بمدى حرية المرأة. "[2] بالتمرد على كل أشكال المنع ولو كان ذلك على حساب المقدس فتمردها بمثابة ثورة شبقية تعلن بها مليكة مقدم تحررها الذاتي الجنسي تجاه الآخر كما يصبح رمزا للتحدي والاستقلالية في إشباع نزواتها الجنسية بنفسها . فهي تعترف برغبة جسدها إلى الآخر الأجنبي الذي ترى فيه الحرية والتحرر لجسدها بعيدا عن تلك القيم في المجتمع الأبوي المحافظ " **الجسد جاذبية شخص أجنبي بمثابة المشارف الأولى للمنفى، المنفى الخلاصي، الآن، بت مقتنعة أن وحدهم الرجال القادمين من بعيد، من أرض أخرى بوسعهم أن يساعدوني على التحرر نهائيا من البلبلة الجزائرية، ولا علاقة لذلك إطلاقا بتوق إلى الإكزوتيكية، لا بل إنها، قبل كل شيء، حاجة للهروب من الاستنطاق، والقسوة، والتميز، والغباء والقمع الذي يمارسه المألوف، وفك التصاقي بالعادات، و محاكاة الجماعة، المرور الغريب كما ينخرط المرء في المقاومة السرية، لإنقاذ نفسي للاهتداء إلى سبيلي** "[3]، فالساردة رأت في الثورة على الجسد وباختيارها للرجل الأجنبي، ضرورة لابد منها لتفكيك المفاهيم التقليدية في المجتمع الجزائري الذي تحكمه نواميس الرقابة

(1) - مليكة مقدم، رجالي، ص71.

(2) - غالي شكري، أزمة الجنس في القصة العربية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1991، ص 268.

(3) - مليكة مقدم، رجالي، ص72.

الذكورية الصارمة "فهذه قلاع تحكم المجتمع العربي ولا يجرؤ أحد إلى النفاذ إليها، وبغير هذا النفاذ تفكيكيا وتحليلا وتغييرا يستحيل التغير في المجتمع مهما تغيرت سياساته، وسلطاته من فوق"[1].

تواصل الساردة تماديها في التعبير عن كل ما يتصل بجسدها ورغباته، وذلك بسرد تلك العلاقات الجنسية في فرنسا " **أناوب في المستشفيات بالأسود، أتخذ عشاقا لليلة الواحدة، أرفض أن أقابلهم ثانية، أرفض أن أحدثهم عن الجزائر، عليا أن أنسى الكثير، فأبادر إلى طرح الأسئلة. أشعر بالنهم لإدراك العلاقات بين الرجال والنساء ... لا أستطيع الاستغناء عن الرجال وفي الوقت نفسه أرفضهم حالما يحدثوني عن الحب، أشهر مسدس كلامي، لا أريد سوى الشهوة واللذة** "[2]، فالإقامة بفرنسا كبيئة حضارية وحياتية بديلة تمثل الحرية والتحرر سمح للكاتبة بتجريب الحدود القصوى إلى حد التطرف في تحري العلاقات الجنسية مع الآخر" **يبلغ تحري الجنس وتفجره الذروة أنه هجوم مضاد للجسد الذي يرفض الفطام الذي يجابه خسة المشاعر بزهو الشبق يكرر اختيار النشوة رفضا للكآبة**"[3] .

لقد أصبح كل شيء مباحا لدى الساردة بعد تحررها من الصحراء والعائلة وشفونية المجتمع التقليدي حيث عاشت في علاقة جسدية حرة مع جان لوي فتكشف تضاريس جسدها المسكون بالإثارة بلغة شبقية صادمة تتماشى وسقف تطلعاته الجريئة "**هنا أنا الغريبة ما أجمل أن أكون أنا الغريبة! بعيدا عن الإدانات الجزائرية، أكتشف في باريس تلك الحيوانية الشبقة للحالة الغرامية، لا يكف أحدنا يلحس الأخر، يختبره، ويذوب فيه هياما، بطرف اللسان، بطرف الشفاه، بطرف الأصابع، بطرف الحلم في كل الأوقات** " [4]، فالحالة الغرامية كما تسميها الساردة هي القيمة الحقيقية التي تمنح تلك العلاقة معناها الشبقي الغرامي بحيث يستحضر الجسد عبرها ومعها أجمل ما فيه من مشاعر الهيام والتدفق الحسي العميق باللذة والشهوة البعيدة

(1) - ادونيس، سياسة الشعر، ط1، دار الآداب، بيروت، 1985، ص182

(2) - مليكة مقدم، رجالي، ص 76.

(3) - المصدر السابق، ص77

(4) - مليكة مقدم، رجالي، ص 81.

عن تلك القيود الاجتماعية التي تحكم المجتمع الجزائري القابع تحت سلطة الفقيه والسياسي والثقافي "**انبهر بمشهد العشاق الآخرين في باريس لا يفتقرون إلى الحياء إنهم فريدون من نوعهم مستغرقون في أحاسيسهم الجياشة ... أعجب بهم وأقول سرا لو يعلمون أن هناك رجال شرطة في الجزائر يعتقلوننا إذا كان الرجل الذي يرافقنا ليس أبا ولا أخا ولا زوجا، لو يعلمون أنهم يهددون بفتح ملف الدعارة لنا لمجرد أننا خرجنا مع بعض الأصدقاء لتناول العشاء**"[1] .

2-3- تدنيس الجسد والتمرد على المقدس الديني :

تعترف الساردة في رواية رجالي بالارتباط بالفرنسي جان - لوي في علاقة قامت على فكرة الزواج الغير المقيد بأية ضوابط خارجية فهي منفتحة على الآخر الفرنسي من دون حساسيات عقائدية أو عرقية، ومع أن هذه العلاقة سوف تصطدم بعقبة الأعراف الاجتماعية وسلطة الأحكام الدينية التي حرمت الزواج ممن هو خارج أهل الملة "**لا محابس ولا مدعون. إننا وحيدان صبيحة هذا السبت في25نوفمبر مع الشاهدين على زواجنا في بلدية الدائرة الخامسة ...لن يعلم أهلي بالأمر إلا بعد اثني عشر أو ثلاثة عشر عاما. وسوف يرفضان هذا الزواج رفضا قاطعا**"[2]، وبذلك فإن الساردة عبرت الهوة العقائدية وانطلقت مع شريكها جان- لويس في علاقة انسجام وشراكة رغم أنها خرقت وثاق العقيدة المقدس، فالرابطة بينهما انتظمت طبقا لشروط دنيوية اختاراها، وليس وفق شروط دينية فرضت عليهما "**لقد تزوجت رجلا متنزها. ينزهني برا وبحرا...يصحبني. أعشق أن يصحبني الرجال. أنا وجان - لوي نتشارك في الحركة نفسها، فيما يتكرر. وهذا ما ينسج ذلك الرابط القوي للغاية بيننا. تلك الرحلات المخططة، المعدة بشهوانية، تختزل انفصالاتي وأكثر منها كذلك تلك المقررة بدون تخطيط مسبق في نوبة رغبة، نزولا عند إلحاح اختبار الإحساس بالحرية والتحقق منه على الفور. كل ما افتقرت إليه في الجزائر والصحراء إلى حد الاختناق**"[3]. إلا أن علاقتها مع جان لويس بدأت بالتوتر والخيبة بعد ربطه لعلاقة جنسية مع شقيقتها فلم

(1) - المصدر نفسه، ص82.

(2) - مليكة مقدم، رجالي، ص89- 90.

(3) - المصدر نفسه، ص134.

تتحرج الساردة من البوح وكشف هذه الممارسة الجنسية الشاذة "**وصلت إلى بيتي فألفيت الباب موصدا من الداخل...استغرق طويلا ليفتح لي. كان يرتدي برنس الحمام... لمحت نعيمة ملتفة بمنشفة تهرع إلى غرفتها اعترف جان-لوي: كنت استحم. فنزعت ثيابها وانضمت إلي تحت الدوش. أقسم لك أنني لم أبلغ النشوة**"[1]، وهنا تظهر الساردة الآخر الأجنبي الذي طالما تغنت به على أنه رمز للحرية والتحرر وأنها تعشق صحبته في صورة سلبية مبتذلة أين خضع لنزواته الشاذة ووقوعه في مستنقع الخيانة الزوجية التي دمرت العلاقة بينهما.

خاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن تمثُّلات الجسد الأنثوي بين المقدس والمدنس في الرواية النسوية الجزائرية من خلال رواية رجالي للروائية مليكة مقدم، إذ توصلنا إلى جملة من النتائج أبرزها:

رواية رجالي تمثل أنموذجا للرواية النسوية التي فتحت التابوهات بكثير من الجرأة التي لم تعهدها الكتابات النسوية الجزائرية بتلك الحدة، هذه الجرأة تكشف عن رغبة الكاتبة مليكة مقدم في إيصال مفهومها الفكري النسوي الخاص بالجسد للخلاص من الثقافة الذكورية، والسّلطة الأبوية التي تحاصر الجسد الأنثوي الذي يحضر كثيمة للتحرر، وتحقيق انعتاق الذات الأنثوية من ضغط الموروث التّقليدي الذي حَدد تاريخيا أُفق العقلية الذكورية التي تقمع إمكانية الحركة والفعل عند الأنثى، فالمرأة تملك جسدها وهي حرة في التصرف فيه من حقها أن تتحدث عن ممارساته دون حياء أو خجل أو خوف لا من الرجل، ولا من العائلة التي تجسد قيم التراتبية الفحولية فيتحرك هذا الأخير في سلسلة من العلاقات العابرة التي لا تجد لها الساردة مبررا سوى التمرد، والتحرر من المنظومة الثقافية والاجتماعية والأخلاقية.

إيغال الساردة في تصوير تمرّدها على القيم واستباحة جسدها في المحظور جنسيا واجتماعيا، ودينيا يعكس رغبتها في تغيير واقع المرأة _وفق منظورها النسوي_ في مجتمع

(1)- مليكة مقدم، رجالي، ص 142

تحكمه الأطر الإيديولوجية الأبوية؛ لكن رغبة التغيير اتخذت جانبا سلبيا غير مقبول من الوجهة الشّرعية والمجتمعية، ووقعت الكاتبة تحت تأثير النّسق المؤطر للمرأة داخل نطاق الجسد. كما أن وعيها التحرري الجريء كان بمثابة رد فعل عُصابي يقوم على المعاندة والمكابرة للثقافة السائدة الذكورية المجسدة في شخصية الأب.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم محمود، جماليات الصمت في أصل المخفي والمكبوت، ط1، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، 2002.

2. إحسان عباس، فن السيرة الذاتية، ط1، دار صادر بيروت، ودار الشروق، عمان، 1996.

3. أحمد عبد الحليم عطية، جاك دريدا والتفكيك، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2010.

4. ادونيس، سياسة الشعر، ط1، دار الآداب، بيروت 1985.

5. بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ط1، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، 2002.

6. بيار بو رديو، الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2009.

7. جليلة الطريطر، مقومات السير ذاتية في الأدب العربي الحديث بحث في المرجعيات، مركز النشر الجامعي، ومؤسسة السعيدان للنشر، تونس، 2004.

8. حسن المناصرة، المرأة وعلاقتها بالأخر في الرواية العربية الفلسطينية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2002.

9. سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، تر: احمد الشامي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

10. سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، تر، جورج طرابيشي، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

11. سيمون دي بوفوار: الجنس الاخر، تر: سحر سعيد، ط1، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، 2015.

12. غالي شكري، أزمة الجنس في القصة العربية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1991.

13. فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999.

14. ماجدولين شرف الدين، الصورة السردية في الرواية والقصة والفيلم، دار الاختلاف، الجزائر، 2010.

15. مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، ت عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، دمشق، 1988.

16. ملكة مقدم، رجالي، تر: نهلة بيضون، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2007.

17. نزيه أبو نضال، حدائق الأنثى دراسات نظرية وتطبيقية في الإبداع النسوي، ط1، دار ازمنة للطباعة والنشر، عمان، 2009.

18. نعيمة هدي المدغري، نساء على المحك، منشورات دار الايمان، الرباط، 2012.

19. يوسف شلحذ، بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده تعريب خليل احمد خليل، ط 1، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 1996.